من الهدايا والتقادم، وابرازه قضاياهم في صورة المعتذر النادم، ربما كان كسر من غيظه، او همد من حنقه وبرد من قيظه، وانما فعلوا ذلك لمعذرة، بعد حريق دمشق وخراب البصرة، وارسلوا الخدم والهدايا صحبة النعام والزرافات، وقد اعجز التدارك وفات، وصاروا كما قيل شعر

ذو الجهل يفعل ما ذو العقل يفعله ** في النائبات ولكن بعد ما افتضحا

وكما قيل مصراع ** وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل

فصل

ذكر بيسق هذا قال لما مثلت بين يديه، واديت الرسالة اليه، وقرئ الكتاب عليه، قال لي قل الحق، ما اسمك قلت بيسق، قال ما مدلول هذا اللفظ المزري، قلت له يا مولانا لا ادري، فقال انت لا تعرف مدلول اسمك يا ثعالة، فكيف تصلح لحمل الرسالة، ولولا ان عادة الملوك لا يهجو الرسل، وقد مهدوا على ذلك القواعد وسلكوا السبل، وانا اولى من يتبع آثار ٧٧ السلاطين، ويحيي سنن الملوك الماضين، لفعلت معك ما يجب فعله، ولا وصلتك ما انت اهله، وبعد هذا فلا عتب عليك، وانما اللوم على من تقدم بهذا الامر اليك، ولا حرج عليه ايضا لان ذلك مبلغ علمه، ومدرك عقله وفهمه، وقد ظهر بفعله الوبيل، نتيجة ما قيل شعر

تخير اذا ما كنت في الامر مرسلا ** فمبلغ آراء الرجال رسولها

ثم قال لي توجه الى قلعتكم، ومكان عزتكم ومنعتكم، فذهبت فوجدتها قد دكت دكا، وسيم حرمها وحريمها خسفا وهتكا، ثم انتبه، وذكرت له ما رأيته، فقال ان مرسلك اقل من ان احاسبه، واذل من ان اراسله، ولكن قل له اني واصل اليه على عقبك، وها انا منشب مخالب اسودي بذنبك، فليتشمر للقرار او للفرار الذليل،

صوابه أن لا يهجو

وليعد

ولْيُعِدّ لاربها الجبار ما استطاع من قوة ومن رباط الخيل، ثم امرني فاخرجت وما صدقت ان تصوبت الى جهة مصر ودرجت.

فصل

وحين ملأ جراب طمعه من نفائس الاموال ودكه، واستدد خلفائهم شيئا فشيئا صافيا ورنقا حتى صفاها بقطعه، امر بتعذيب هؤلاء الامراء الكبار، فعذبوهم بالماء والملح وسقوهم الماء والكلس وكووهم بالنار، واستخرجوا خبايا الاموال منهم استخراج الزيت بالمعصار، ثم اطلق عنان الاذن لعساكره بالنهب العام، والسبي الطام، والفتك والقتل والاحراق، والتعذيب بالاسر على الاطلاق، فهجمت اولئك الكفرة الفجرة على ذلك اشد الهجوم، وانقضوا على الناس بالتعذيب والتتريب والتخريب انقضاض النجوم، واهتزوا وادبوا وفتكوا وسبوا، وصالوا على المسلمين واهل الذمم، صولة الذئاب الضواري على ضواني الغنم، وفعلوا ما لا يليق فعله، ولا يجمل ذكره ونقله، واسروا المخدرات، وكشفوا غطاء المستترات، واستنزلوا شموس الخدور، من افلاك القصور، وبدور الجمال، من سماء الدلال، وعذبوا الكبار والاصاغر بانواع العذاب، وبدا للخلق ما لم يكن في الحساب، واستخلصوا باصلاء النار جواهر الناس منهم خلاصات الذهب، وصنعوا في استخراج النفائس من النفوس باصناف العذاب مسائل يقضي منها العجب، وفرقوا بين الوالدة وولدها، والروح وجسدها، وذهلت كل مرضعة عما ارضعت، وجازوا كل نفس بما صنعت وبغير ما صنعت، وفر المرء من اخيه، وامه وابيه، وصاحبته وبنيه، وصار لكل منهم يومئذ شأن يغنيه، وذل العزيز والكريم،

Copyright @ King Saud University